حرية
عدالة
مواطنة

البديل

إسبوعية - سياسية - مستقلة

العدد (٦٨) ٢٠١٢/١٢/٢٣ م | www.al-badeel.org | Issue (68) 23/12/2012

لافروف: الدول الغربية تصلي لاستمرار عرقلة موسكو للتدخل الخارجي

النظام يضع فلسطينيي سوريا امام نكبة ثانية

البديل:

تسارعت التطورات الميدانية في سوريا خلال الأسبوع الماضي، حيث واصل الجيش الحر التقدم في مزيد من معاقل النظام في كل من دمشق وحلب وحمص، فيما لجأ النظام مرة أخرى إلى استخدام صواريخ «سكود» لقصف معاقل الثورة في محافظة حلب.

وتمكن الجيش الحر من طرد ميليشيا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من مخيم اليرموك، واستولى على مقراتها، كما هاجم حواجز قوات النظام على مداخل المخيم. ونزح خلال أسبوع نحو ١٠٠ ألف فلسطيني وعشرات الآلاف من السوريين عن المخيم بعد قصف جوي للمرة الأولى استهدف عدة مواقع سكنية، ما أسفر عن سقوط عشرات الشهداء.

وتوسطت قوى فلسطينية لتحييد مخيم اليرموك عن الصراع، ما مكّن آلاف النازحين من العودة رغم عدم وجود تفاهم على إخلاء المخيم من المظاهر المسلحة، كما طالب الأهالي الذين وصفوا ما جرى لهم بأنها «نكبة ثانية».

و قصفت قوات النظام معاقل الثورة بصواريخ «سكود» في حلب، بحسب رصد أعلن عنه حلف شمال الأطلسي، في مؤشر يرجح افتقاد النظام للقوة البشرية المقاتلة على الأرض، فيما احتدمت المعارك حول قاعدة عسكرية في حلب تضم مصانع تمول النظام بالذخيرة والأسلحة في منطقة السفيرة التي تضم أيضاً مختبراً للسلاح الكيماوي.

و شنّ الطيران الحربي للقوات الموالية للنظام غارات على مناطق في وسط البلاد وشرقها، مع استمرار مقاتلي الجيش الحر في هجومهم على حواجز للقوات النظامية في ريف محافظة حماة، فيما انشق أكثر من ٢٠٠ عنصراً من قوات النظام في محيط مطار دمشق الدولي.

سياسياً، شككت روسيا بمصداقية الدول الغربية التي تعلن معارضتها للنظام، مؤكدة أن هذه الدول «تصلّي» لتستمر روسيا والصين في عرقلة التدخل الخارجي، وشددت على أن الأسد لن يرحل حتى لو دعته موسكو وبكين إلى ذلك. وقال سيرغي لافروف وزير الخارجية الروسي: «لا يوجد أحد مستعد للتصرف». وأعرب عن أسفه لأن اللاعبين الخارجيين ينصب اهتمامهم على «تحصيل وتحقيق نقاط داخلية ما» من وراء الوضع في سوريا.

وناشدت الأمم المتحدة المجتمع الدولي توفير تمويل بقيمة ١,٥ مليار دولار، لتقديم مساعدات ضرورية للسوريين الذين قالت إنهم يواجهون وضعا إنسانياً «آخذ في التدهور بشدة» خلال النصف الأول من العام المقبل، وهي أكبر مناشدة لتقديم مساعدات إنسانية في المدى القصير على الإطلاق.

رأي البديل- تعريف سوريا

كيف نظر السوريون إلى وطنهم منذ مرحلة ما بعد الاستقلال عن فرنسا؟ وهل يمكننا اليوم أن ننظر إلى سوريا بعين مختلفة، ونعيد تعريف سوريا بدلالة المشروع الوطني الداخلي، وليس بدلالة المشاريع العابرة؟

الشيوعيون نظروا إلى سوريا كجزء من المشروع الأممي، وتعاملوا معها بدلالة الاتحاد السوفيتي سابقاً، وهو أمر ينطبق على القوميين الذين رأوا أنها جزء من الأمة العربية، وهو ما عبر عنه شعار البعث «أمة عربية واحدة»، وكذلك القوميون السوريون الذين اعتروا أنها جزء من الهلال الخصيب «سوريا الكبرى»، ولا يختلف الأمر عند الإخوان المسلمين الذين لا يعترفون بسوريا كوطن خالص، وإنما كجزء من مشروع الأمة الإسلامية، وجزء كبير من الأكراد تعاملوا معها فكرياً وأيديولوجياً بوصفها جزءاً لا يتجزأ من كردستان الكبرى.

لم ينظر السوريون إلى سوريا كمشروع مستقل، كوطن يمكن تعريفه من الداخل، وعندما انطلقت الاحتجاجات في مارس من العام الماضي بدأ السوريون يشعرون أنهم لم يكونوا يعرفون بعضهم، وراح شعورهم بسوريتهم يقوى، لكن ذلك لم ينعكس في السياسة، وتحديداً لدى القوى السياسية في المعارضة، والأمر ذاته عند النظام الذي ما زال يعرف نفسه حتى اللحظة بدلالة الخارج، أي بدلالة مشروع الممانعة والمقاومة الذي ثبت أنه ليس أكثر من مجرد شعار يختفي وراءه من أجل استبداد الداخل.

إن السوريين اليوم بأمس الحاجة إلى إعادة تعريف معنى الوطن السوري، وهو ما يمكن أن يسهم في تحديد الأولويات، و«ربما» يقرب بين الأطياف السياسية، ويضع القطار السياسي على سكة صحيحة، ويجعل بالإمكان مقاطعة المصالح انطلاقاً من دلالات الداخل، أي من الاحتياجات الحقيقية لسوريا، ومن خصوصيتها نفسها، وليس انطلاقاً من مشاريع ما فوق وطنية.

إن إعادة تعريف سوريا بدلالة الداخل ليس من أجل عزلها عن محيطها العربي والإقليمي، وإنما من أجل تحديد العلاقة مع العربي والإقليمي انطلاقاً من مصالح السوريين، حيث لا يمكن التلاقي مع أي مشروع خارجي مهما كان مهماً من دون أن تكون مصالح الداخل هي الأساس، أي باختصار مصلحة كل موطن ومواطنة.

ربما من المفيد أن ننظر للمرة الأولى منذ أكثر من ستة عقود على الاستقلال إلى سوريا بوصفها وطناً مستقلاً، أي أن يقول السوريون: سوريا أولاً. هل سيفعلها السوريون؟ هل سيحتكمون إلى سوريتهم؟ أم سيظل البعض ينظر إليها بدلالة مشاريع أكبر؟

الثورة كادت تنقسم بين مؤيدي "الخلافة الإسلامية" ودعاة "الدولة المدنية"

■ حلب – البديل:

أثارت حادثة الصدام بين متظاهرين موالين لجبهة النصرة وآخرين معارضين لها في مدينة حلب جدلاً واسعاً في الأوساط المؤيدة للثورة، وكشفت عن ملامح انقسام حاد بين تيارين في الثورة، أحدهما يلتف حول فكرة «الخلافة الإسلامية» والآخر يشدد على الالتزام ببناء دولة لكل السوريين من دون فرض حكم ديني على السوريين في سوريا ما بعد الأسد.

وبدأت الحادثة بحسب شهادات جمعتها «البديل» ومن خلال التواصل مع ناشطين، خلال مظاهرة نظمها أهالي حي بستان القصر في مدينة حلب يوم الجمعة الماضي، حيث بدأ المتظاهرون بالهتاف للثورة عندما جاءت مجموعة إسلامية وقاطعت هتافات الحرية التي كان يرددها قاشوش بستان القصر بهتافات «بدنا خلافة إسلامية». ورد المتظاهرون على الموالين لجبهة النصرة بهتاف يتم ترديده للمرة الأولى في سوريا «كل الجيش حرامي.. نظامي وحر وإسلامي»، عندها قام أنصار «الخلافة الإسلامية» بمقاطعة المظاهرة عبر اختراق صفوف المتظاهرين والتشويش على الهتافات. وقال شاهد كان مشاركاً في التظاهرة إن مجموعة من «جبهة النصرة» تقدمت وأطلقت النار في الهواء بهدف إنهاء المظاهرة، لكن المتظاهرين رفضوا ذلك وهتفوا «شبيحة» في إشارة إلى الموالين لجبهة النصرة الذين اعتقلوا الناشط والمقاتل في الجيش الحر عبد الله ياسين خلال تصويره للأحداث. وحدث عراك بالأيدي بين الطرفين بحسب شهادة أخرى أكدت على أن إطلاق النار حدث بعد ذلك من جانب الإسلاميين، وانه تمّ الاعتداء بالضرب على ناشط كان يصور الأحداث.

وكتب الناشط غسان ياسين (شقيق عبد الله ياسين) في صفحته على فيسبوك أن جبهة النصرة اعتقلت شقيقه في المظاهرة، وتوجه إلى جبهة النصرة بالقول: «حربنا ضد النظام.. بس إذا إنتوا مصرين على ارتكاب الحماقات رح تدفعوا الثمن»، وطالب المجلس العسكري بالتدخل «لوضع حد لهذه الحماقات». وتفاعل الناشطون مع الخبر الذي نقله ياسين، وشهدت صفحات الفيسبوك أكبر حملة ضد «جبهة النصرة» أظهرت أيضاً هشاشة الدعم الشعبي الذي تحظى به «الجبهة»، إلا أنه بعد ساعات تبين أن عبد الله أفلت من الاعتقال عندما حاصر رفاقه في المظاهرة طريق الموالين لجبهة النصرة وأطلقوا سراحه، وهو ما أكده عبد الله في تصريح مقتضب لـ«البديل» أكد فيه أنه لم يتم اعتقاله، لكن حدثت مشكلات كبيرة خلال التظاهرة. وأكد في منشور على صفحته الشخصية على الفيسبوك إنه كانت هناك أكثر من جهة إسلامية في المكان، وشدد على رفضهم لمطلب الخلافة الإسلامية.

وبث ناشطون مقطع فيديو أظهر بداية التلاسن بين المتظاهرين، ولم يظهر أي عراك في مقطع الفيديو القصير، كما أكدت شهادات لاحقة أن المجموعة التي اشتبكت مع المتظاهرين ليسوا من جبهة النصرة وإنما من كتائب إسلامية أخرى.

إسطوانات غاز تركية في كوباني تستخدم مرة واحدة مثل حفاضات الأطفال!

■ ريف حلب- البديل

نظراً لانقطاع مادة الغاز في مدينة كوباني في ريف حلب، والمحاذية للشريط الحدودي مع تركيا، قصد سكان المنطقة القرى والبلدات التركية الموازية للشريط الحدودي لشراء اسطوانات غاز معبأة بسعر يناهز ٤٠٠٠ ليرة، علماً بأن الاسطوانة هي للاستخدام مرة واحدة، وغير قابلة للتعبئة.

وقد وصف أهالي المنطقة اسطوانات الغاز التي تأتي غالبيتها من مدينة بيرجيك التركية بأنها تشبه طريقة استخدام حفاضات الأطفال الصغار، فبمجرد أن ينتهي الغاز ليس أمام المشتري سوى خيار التخلي عن الأسطوانة، أو الاحتفاظ بها فارغة في المنزل. وقال عزيز سيف الدين، وهو أحد الذين قصدوا مدينة بير جيك لجلب أكثر من ٣٣ أسطوانة، إن التجار الأتراك يدركون أن المنطقة تعيش أزمة اقتصادية خانقة، وعلى رأسها فقدان الغاز، كما أن الحدود مفتوحة، وعلى هذا الأساس استغلوا قدوم الناس بحثاً عن الغاز لفرض أسعار باهظة جداً لشراء الأسطوانة، ويشترطون في الوقت نفسه عدم مبادلة الأسطوانة، فهي تباع لمرة واحدة فقط على حد تعبيرهم.

ويضيف سيف الدين أن أزمة الغاز الخانقة جعلت الناس يقصدون تركيا بغية الحصول على جرار الغاز، وتزايدت وتيرة هذه الحركة بعد أن قطع التيار الكهربائي منذ أسابيع عن المدينة.

يشار أن المدن الحدودية، وخاصة كوباني غدت سوقاً مفتوحاً أمام المنتجات التركية التي تغزو المحلات، بدءاً بالأدوات الكهربائية والمنزلية ووصولاً إلى تكديس المحلات التجارية بالمدافئ التركية، فضلاً عن استيراد الفحم التركي مؤخراً، كما أن المواد الغذائية تكاد تسيطر على واجهة معظم المحلات، كما يعتمد الأهالي على شبكة الهواتف النقالة التركية جراء انقطاع شبكة الموبايل المحلية عن المدينة.

أطفال يواجهون الموت برداً في مخيمات داخلية للنازحين

■ إدلب- شبكة الأخبار الإنسانية

تستخدم رغد، التي لا تزال في العاشرة من عمرها، عكازين للسير بحذر شديد على تل موحل، مرتدية حذاءً مطاطيا لامعاً أزرق اللون في قدمها اليمنى، أما القدم الأخرى، فقد تم بترها من أسفل الركبة. وأصيبت رغد عندما انفجرت قنبلة دمرت منزل عائلتها في بلدة حاس، التي تقع على بعد ٨٦ كيلومتراً جنوب غرب حلب. وتعيش وعائلتها في خيمة على منحدر يغطيه الطين، وهم ضمن ٤،٠٠٠ شخص تقطعت بهم السبل في مخيم للنازحين يضم أكثر من ٥٠٠ خيمة، أنشئ قبل ثلاثة أشهر بالقرب من الحدود التركية. ويشعر العديد من النازحين هنا بالبرد والخوف، ويقولون أنهم يرغبون بشدة في مغادرة سوريا، بعد ما يقرب من عامين من الصراع. وتغطي صفوف الخيام البيضاء في مخيم «قاح» ما كان في السابق بستاناً لأشجار الزيتون. وتستخدم الأشجار المتبقية لمد حبال الغسيل. ومن هذا المخيم، يمكن رؤية قرية مجاورة وعدة هكتارات من بساتين الزيتون المنتشرة على التلال. ويعد وجود الجيش السوري الحر نعمة ونقمة في الوقت نفسه بالنسبة للمدنيين الذين يبحثون عن مأوى هنا. فالثوار يسيطرون على المنطقة، مما يجعلها آمنة، ولكن وجودهم يجعل المنطقة هدفاً مشروعاً للهجمات الصاروخية والقصف من قبل القوات الحكومية. وقال شادي أمين، مدير مخيم "قاح"، في تصريح لشبكة الأنباء الإنسانية (إيرين) إن "الطقس الآن بارد بشكل لا يصدق". ومنذ أن بدأ فصل الشتاء قبل أكثر من شهر، شهدت المنطقة أمطاراً غزيرة استمرت لعدة أيام. وتسربت المياه إلى الخيام، فبللت البطانيات والفرش والسجاد. وفي الليل، تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر. يمكنك سماع بكاء الأطفال داخل الخيام،" كما قال مصطفى، وهو رئيس طهاة ورقيب سابق في الجيش يبلغ من العمر ٢٢ عاماً كان قد فر من حاس مع تسعة من أفراد عائلته. كما ينتشر السعال وسيلان الأنف، كما أن الطين العميق يجعل من المستحيل الحفاظ على النظافة. وقال أمين أن فتاة صغيرة تجمدت حتى الموت في مخيم عتمة قبل يومين. وحذر من أن "الوضع سيصبح أكثر سوءاً في شهري كانون الثاني وشباط" وأن "العديد من الأطفال سيلقون حتفهم". وقال الطبيب، الذي طلب عدم الكشف عن اسمه، أن أكثر من ٣٠ ٪ من سكان المخيم يعانون من الإسهال بسبب شرب مياه غير نظيفة. وأفاد أيضاً أن حالات الإصابة بالتهاب الكبد الوبائي (أ) تنتشر بسرعة في المخيم.

٧٥٠ طناً من السماد تتعرض للسرقة في تل أبيض .. والباقي فقط ٥٠ طناً

■ تل أبيض – البديل:

طرح المجلس المحلي لمدينة تل أبيض ٥٠ طناً من السماد الزراعي للمزاد، نافياً اتهامات تمّ ترويجها بخصوص تصرفه بالسماد لأغراض لا تخدم الصالح العام.

وقال محمود الدرويش، مسؤول المكتب الاعلامي بالمجلس المحلي في مدينة تل أبيض، إنه منذ أيام التحرير الأولى، تمّ جرد مستودع السماد في المصرف الزراعي، وكان فيه ٧٠٠ طن سماد سوبر فوسفات، واكثر من ١٠٠ طن سماد آزوتي، وتمّ تسليمه الى إحدى الكتائب لحراسته.

وأضاف الدرويش أنه منذ أيام قليلة، أوقفت إحدى الكتائب قاطرة محملة بالسماد، وتبين أن مصدرها المصرف الزراعي، فأعاد المجلس جرد الكمية الموجودة في المصرف، واتضح أنه لا يوجد سوى ٥٠ طناً ما بين سوبر فوسفات وسماد أزوتي، وكون هذه الكمية لاتفي بحاجة أكثر من ٥ مزارعين، فإن المجلس قرر بيعها بعد التشاور مع كتائب المنطقة، وذلك أفضل من أن تسلب أيضاً!.

وأوضح مسؤول المكتب الإعلامي إنه تم بيع الـ٥٠ طناً في مزاد إلى مزارع من المنطقة، وسعر الطن بـ٤٢ ألف ليرة، مشيراً إلى ان تحقيقاً تمّ فتحه في كيفية فقدان الكمية الكبيرة والبالغة ٧٥٠ طناً، واعترفت كتيبة تابعة للجيش الحر بأخذ ٢٥ طناً فقط، فيما يجرب التحري لمعرفة وجهة الكمية المتبقية. وطالب محمود الدرويش أي شخص يتهم المجلس المحلي في تل أبيض بالنصب والسرقة فليتفضل إلى مقر المجلس ويطّلع بشكل دقيق على دفاتره وحساباته بنفسه دون أن يلقي التهم جزافاً.

ضغوط لتسييس العمل الطبي تتسبب بإغلاق مشافي دار الشفاء

■ حلب – البديل:

قرر الاتحاد الطبي الحر في حلب إغلاق كتلة مشافي دار الشفاء خلال أيام بسبب عدم توفر متطلبات العمل فيها.

وقال الاتحاد الطبي في بيان مقتضب: «تعلن كتلة مشافي دار الشفاء في مدينة حلب أنه سيتم إغلاق المشافي خلال الأيام القليلة القادمة، وذلك بسبب عدم توفر المحروقات فيها، وعدم توفر متطلبات المشافي من نفقات، ولانحمل أحداً مسؤولية هذا الأمر إلا الذين يتاجرون بدماء الجرحى والشهداء».

وأضاف البيان أنه سيتم الإعلان عن هذا الأمر خلال أيام بشكل رسمي ومصور. وقدم الاتحاد الطبي اعتذاراً لكافة الجرحى والشهداء.

وتعقيباً على هذا القرار، قال عضو في الاتحاد الطبي الحر في حلب لـ"البديل" إن كتلة مشافي دار الشفاء تستقبل يومياً ١٣٠ حالة بشكل وسطي بين حالات باردة وحالات إسعافية. وأوضح أن السبب الرئيسي لإغلاق المشافي هو عدم توفر المحروقات ونفقات المشافي.

وكشف عن أن سبب عدم وصول الدعم واضح، وأصبح الجميع يعرفه، لأننا رفضنا تسييس العمل الطبي وتحزيبه، ولأن هناك تجار دم يتحدثون باسمنا في الخارج، ويقومون بسرقة الأموال، والمواد المرسلة لمشافي الشفاء.

ندرة الطعام تدفع أهالي حلب إلى اختراع وسائل بدائية

أحذية بلاستيكية وملابس بدلاً من الحطب.. والبرغل وجبة «الطبقة الراقية»

■ حلب- البديل:

يتصاعد دخان كثيف فوق مدينة حلب ليلاً ونهاراً حتى أنه يختلط على المرء ما إذا كان الأمر ظاهرة متعلقة بطقس الشتاء القارس وما يرافقها من ضباب كثيف أحياناً، إلا أنّ هذا التصور يصطدم بما يتوضح من حقيقة مرّة يرويها الأهالي بأن مصدر هذا الدخان يأتي من استخدام الناس للحطب، بديلاً عن أسطوانة الغاز، وكافة المحروقات، وتحولت شرفات المنازل إلى مكان مثالي لإشعال الحطب، بهدف الطبخ او حتى تسخين المياه، وسط انتشار حالات الاختناق بسبب الدخان الكثيف.

ويتم تصنيع الخبز الصاج على نيران البوابير التي انقطع استخدامها في المدن منذ عقود. أبو أحمد، الذي ينحدر من حي السكري، هو أحد الذين انتهجوا هذه الطريقة لتأمين لقمة عيشة أطفاله :»نعاني كثيراً لكي نشعل النار على الشرفة، فالرياح وهطول الأمطار تعرقلنا يومياً من إكمال طهي الطعام والخبز، كما أنّ انتشار الدخان في غرف المنزل يكاد يخنقنا جميعاً ويحول الأثاث في المنزل إلى حجرة سوداء، لكننا ما نزال نضغط على جراحنا في سبيل تأمين رغيف الخبز.. فهو الأهم».

ويحصل أبو أحمد على الطحين من أهل الخير بين فترة وأخرى، من دون أن يكون الطحين مرفقاً بالخميرة التي هي منعدمة في حلب كلها. ويقول: «نتدبر أمرنا بما يرزقنا الله من حصتنا في الطحين، فنعجن الطحين بدون خلطه بالخميرة، ولهذا يخرج الخبز بمذاق غريب جداً، وبالكاد نتمكن من أكله».

في حي الشيخ مقصود ذو الغالبية الكردية، والذي يعج بالنازحين، تصادفك ظاهرة جديدة نابعة من حاجة الناس للطعام، وتتجسد معالمها لدى الشريحة الفقيرة التي باتت تفتقر إلى أبسط شروط الحياة، فهؤلاء يعجزون عن شراء الحطب، ويسلكون بدلاً منه شراء الأحذية البلاستيكية الرخيصة والسميكة، ووضعها في المدفأة التي يستخدمونها في طهي الوجبة الرئيسية والوحيدة لأفراد العائلة، ومن هؤلاء أبو شيار الذي يقول: «لم نعد نملك السيولة لمجاراة الحطب، كما أن اسطوانات الغاز غدت من الذكريات الماضية، نطهو الطعام ونسخن المياه على الأحذية البلاستكية الرخيصة، والملابس العتيقة التي نملأ بها المدفأة». وإن ضاقت به الحال أكثر، يلجأ أبو شيار كما غيره من الناس الفقراء إلى استخدام الكراسي الخشبية، وكسر ألواح الخزانات المنزلية التي اشتراها بمناسبة زواجه منذ عشر سنوات، لتعويض الأحذية البلاستكية والملابس البالية.

وأصبح المحظوظ من الحلبيين هو من تكون وجبته مكونة من البرغل والعدس والرز، لأنها بديل مناسب عن عدم توفر الخبز.

ومن الغريب أن تتحول المدينة التي كانت ذات صيت بالأكلات الشهية على مستوى منطقة الشرق الأوسط والعالم إلى مدينة تئن تحت رحمة المجاعة، فأبو يوسف الذي يتغذى مع عائلته يومياً على البرغل، يقول إن هذه الأكلة باتت تحتل موائد كل عائلات حي الشعار في حلب، و» زد على ذلك أن البرغل المطبوخ لا يحتوي على السمنة أو الزيت أو المقبلات».

ومن بين الوسائل المبتكرة لتفادي أزمة الغاز، تضع بعض العائلات الخضروات، مثل البطاطا والبصل والبندورة في مدافئ الحطب كحل ناجع بدلاً من الطهي أو القلي على أسطوانة الغاز المنعدمة في المدينة، وهذه الحالة تنحصر على الذين يعيشون على الرفاهية في هذا التوقيت، لكن حتى هذه «الطبقة الراقية» تعاني من أزمة الخبز.

وكحل مبتكر وجماعي لتأمين الوجبة اليومية اليتيمة يقوم بعض الأغنياء وميسوري الحال في أحياء منكوبة بطبخ الطعام في ما يسمى بـ «الحلّة» في الشوارع، ومن ثم توزيعها على طوابير مصطفة من الأطفال والنساء، وتقول إحدى السيدات وهي تحمل في يدها صحناً فارغاً: «الحمد الله.. تبرع لنا أهل الخير بهذه الوجبة، لا أكل ولا مصاري ولا غاز.. هذه الحالة تهدف إلى قتلنا بالجوع». وتضيف السيدة البالغة من العمر «٤٧ عاماً»: «زوجي عاطل عن العمل، والقذائف تستهدفنا يومياً، والفرن أغلق أبوابه منذ شهر كامل، والعالم يتفرج».

أما العائلات المنكوبة والموزعة على الطرقات والحدائق والمدارس فإنها تقتات على ما يصلها من الخبز من الجمعيات الخيرية، والمنظمات الإنسانية التي تعمل في المدينة، والطعام الذي يقتات منه هؤلاء الناس كما يقول مصطفى الذي يعيش مع عائلته في خيمة منصوبة على طريق دوار الصنم، تنحصر في الخبز اليابس مع الشاي.

ويضيف مصطفى أن الهلال الأحمر يوزع البرغل والعدس والحمص والمعلبات بناءً على علاقة القرابة والصداقة، ومعظم تلك المساعدات تذهب إلى غير مكانها المفترض، «هؤلاء تربطهم شبكة واسعة مع الشبيحة وضعاف النفوس، ومعظم تلك المساعدات تذهب إليهم».

ولا تبدو أحوال المطاعم أفضل من العائلات، فالخبز يقارن هذه الأيام بالذهب، ونادراً ما تجد مطعم يبيع السندويش. ويروي فراس الذي يعيش في حي الأشرفية تجربته اليومية مع الغذاء، مشيراً إلى أن الحي كان يحتضن في داخله عشرات المطاعم، والآن هناك ثلاثة مطاعم فقط تفتح أبوابها أمام طابور الزبائن. ويضيف: «أفطر يوميا على سندويش فلافل، وفي الغداء والعشاء أعتمد على الكعك والصمون في حال توفر...لم أحصل على ربطة خبز منذ خمسة أيام».

وفي تقرير أوردته صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»، يقول أيوب أبو خليل، وهو معلم: «إن كل منظمة تقدم الإغاثة للسوريين لديها أجندتها الخاصة»، مضيفاً «هناك شروط عندما تأخذ المساعدة. إن ذلك أشبه بالترويج والتسويق لهذه المنظمات. أما المساعدات الصادقة الوحيدة، فهي التي تأتي من الجيران الذين يساعدون جيرانهم». ويقول أبو خليل إن المجموعات الإسلامية حاولت في أحيان كثيرة الاتصال به لتعرض عليه المساعدة والمساهمة في النهوض بالأعباء المادية للطلبة والمدرسة التي يشتغل فيها مقابل السماح للمجموعة الإسلامية بإملاء منهاجها التعليمي.

يعتبر إطلاقها رسالة مزدوجة للداخل والخارج

استخدام صواريخ "سكود" يعكس إحباط النظام وانفصال واشنطن عن الواقع

■ أندرو جيه. تابلر و جيفري وايت

يمثل استخدام نظام الأسد لصواريخ «سكود» على مدى الأيام العديدة الماضية تصعيداً خطيراً في حربه ضد الثوار، وهو الأمر الذي يحمل في طياته تداعيات عسكرية ونفسية وسياسية خطيرةعلى الشعب السوري. والأمر الأكثر إلحاحاً بالنسبة لواشنطن هو أن استخدام صواريخ «سكود» جاء في وقت اعترفت فيه الولايات المتحدة أخيراً بـ «الائتلاف الوطني لقوى المعارضة والثورة السورية» – وهو آخر مؤشر إلى أن الأحداث على الأرض تتجاوز بسرعة السياسة الأمريكية، وأنه ينبغي على واشنطن إعادة النظر في خطوطها الحمراء.

باستطاعة صواريخ "سكود" حمل رؤوس حربية ذات قدرة تفجيرية عالية يبلغ وزنها ١٠٠٠ رطل أو حمل مواد كيميائية. ورغم أنها ليست بالغة الدقة، إلا أنه لا توجد وسيلة فعالة يستطيع بموجبها معارضو النظام إيقافها. إن صواريخ "سكود" الأبعد مدى التي يمتلكها نظام الأسد، من نوع "C" و "D"، يمكنها أن تصل إلى معظم أنحاء سوريا عندما تُطلق من منطقة دمشق، حيث تقع قواعد صواريخ "سكود" الرئيسية.

كما أن صواريخ "سكود" تخلق نوعاً من المفاجأة والصدمة. وليس لدى الثوار أية وسائل لمعرفة متى تمّ إطلاق الصواريخ، وأين وجهتها، أو أنواع الرؤوس الحربية التي تحملها. وفي الواقع، فحتى مع جمع معلومات استخبارية جيدة، لا توجد وسيلة يمكن الاعتماد عليها لمعرفة أي من صواريخ "سكود" تمّ تحميلها برؤوس حربية كيماوية. ومن ثم فإن قرار النظام نشر الصواريخ يتجاوز عتبة أخرى، بما يقلل وقت التحذير المحتمل لشن هجمات أخرى بصواريخ "سكود"، الأمر الذي يشكل خطراً أكبر على جيران سوريا.

ويقيناً أن استمرار الهجوم بصواريخ "سكود" ستكون له آثاره النفسية على مقاتلي الثوار والمدنيين، وقد يشمل ذلك الشعور بالخوف وعدم القدرة على الدفاع والانكشاف، والصدمات النفسية. لكن التاريخ يظهر أن السكان الذين يتعرضون للهجمات الصاروخية بإمكانهم التكيف معها بسرعة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تعوّد الثوار والمدنيون على التعرض للقصف. وفي جميع الاحتمالات، سوف يتكيف المقاتلون بسرعة نسبية، بينما سيستغرق ذلك وقتاً أطول للمدنيين. ولا تتوافر حالياً سوى أصول محدودة في المنطقة للدفاع ضد الهجمات بصواريخ "سكود". وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن الأصول البحرية الأمريكية في شرق البحر المتوسط تمتلك بعض الإمكانات، وهو الأمر بالنسبة للأنظمة الإسرائيلية المضادة للصواريخ. وسوف تمتلك تركيا بعض القدرات للدفاع عن نفسها عند وصول صواريخ "باتريوت" التي تمّت الموافقة على نشرها.

التبعات السياسية

إن استخدام صواريخ «سكود» يعكس المصاعب المتزايدة التي يواجهها النظام السوري – فاستخدام أصل استراتيجي مثل صواريخ بعيدة المدى ضد ثوار منتشرين في مناطق شاسعة من دون أهداف عسكرية جوهرية يعكس الإحباط، وليس استراتيجية عسكرية سديدة. ونظراً لأن النظام أصبح على ما يبدو يستخدم أي أسلحة متاحة له بغض النظر عن فعاليتها، فإن السؤال الجوهري يتعلق بما إذا كانت صواريخ «سكود» مجرد تمهيد للهجمات الكيميائية أم لا؟ وربما يكون النظام أيضاً قد لجأ إلى استخدام صواريخ «سكود» لاستعادة المبادرة، بعد أن أصبح الثوار يمتلكون أسلحة دفاع جوي محمولة، كما فعل السوفيات في ظل ظروف يائسة مماثلة في أفغانستان في ثمانينات القرن الماضي.

ويبدو أن استخدام صواريخ «سكود» لا يهدف فقط إلى إرهاب المعارضة لكي تضطر إلى الخضوع، لكنه يهدف أيضاً إلى بث رسالة لجيران سوريا بأن الأسد قادراً على الاتجاه بشكل خطير على مقربة من الخطوط الحمراء التي رسمها المجتمع الدولي، حتى مع تفكك سيطرة النظام على البلاد. ومن خلال إظهار قدرته على التصعيد، قد يستطيع النظام إقناع هؤلاء الجيران – جنباً إلى جنب مع الولايات المتحدة – بقبول حل دبلوماسي بوساطة روسيا، سواءً لإرغام الثوار على وقف القتال أو، على الأرجح، إبرام اتفاق دبلوماسي لإنقاذ النظام.

رد الولايات المتحدة

إن استخدام النظام السوري لصواريخ «سكود» يعكس مرة أخرى درجة انفصال السياسة الأمريكية عن الأحداث على أرض الواقع، حيث تتجاوز التداعيات جميع جيران سوريا وحتى إلى دول أبعد منها. ينبغي على واشنطن أن تعيد التفكير في خطها الأحمر بشأن استخدام الأسد للأسلحة الكيمائية (والذي تراجع مؤخراً من «الاستخدام والتحرك» إلى مجرد «الاستخدام») بحيث يشمل الأسلحة الاستراتيجية التقليدية مثل صواريخ «سكود»، وربما ينبغي أن يتزامن ذلك مع عرض الموضوع أمام مجلس الأمن الدولي. وبالإضافة إلى ذلك، يمتلك الأسطول الأمريكي السادس قوات في البحر المتوسط للمساعدة على التعامل مع تهديد صواريخ «سكود»، بما في ذلك سفينة أو سفينتين من طراز «إيجيس» مجهزتين بصواريخ «إس إم–٣».

ونظراً لإدخال صواريخ «سكود» إلى ساحة القتال وما تردد عن تزايد التهديد بشن هجمات كيميائية، تشعر المعارضة السورية بتهديد بالغ من نظام الأسد، ولم تكتسب سوى القليل من التحفيز والتشجيع من التحركات السياسية الأخيرة لواشنطن. فعلى سبيل المثال، جاء تصنيف الولايات المتحدة للجماعة الجهادية السورية «جبهة النُصرة» هذا الأسبوع على أنها منظمة إرهابية قبل أن تعترف واشنطن رسمياً بـ «الائتلاف الوطني لقوى المعارضة والثورة السورية» – وهو ائتلاف ساعدت واشنطن بالفعل على تشكيله منذ أكثر من شهر – في الثاني عشر من كانون الأول. وترى المعارضة السورية هذا الانفصال الواضح على أنه دليل على أن واشنطن بعيدة كل البعد عن معرفة الحالة الإنسانية المتدهورة بسرعة على الأرض، وأنها أكثر اهتماماً بمكافحة الإرهاب من التخلص من الأسد. وبالنظر إلى استعداد الثوار على الاستيلاء على مناطق شاسعة من البلاد قريباً – وهي فكرة يبدو أن النظام نفسه بات مقتنعاً بها من واقع ما يحمله استخدام صواريخ «سكود» من دلالات – فإن التواصل السياسي والعسكري العلني مع المعارضة المسلحة سيعد القرار السديد فيما لو كانت واشنطن تأمل في تحقيق أهدافها ببناء سوريا علمانية وديمقراطية بعد الأسد.

ضرورة تحرير «الشعب يريد إسقاط النظام» من زنزانة الشعار

القوى المدنية وتحدي إعادة إنتاج الاستبداد باسم الدين

حسام ميرو

تتخوف قطاعات واسعة من السوريين اليوم من الإسلام السياسي، خاصة من الإخوان المسلمين، والجماعات الجهادية التي تعتبر «جبهة النصرة» أبرزها في سوريا، ولا يمكن القول إن هذه المخاوف هي مجرد أوهام، أو أنها تخدم النظام في تصديه للثورة، خاصة بعد ما شهدته مصر من صراع بين القوى الإسلامية وبين القوى المدنية والليبرالية، حيث ارتد الإخوان المسلمون في مصر عن الكثير من وعودهم، وقد دخلت مصر في صراع ومأزق كبيرين بسبب إحساس القوى المدنية بأن الإخوان المسلمين يريدون إعادة إنتاج الاستبداد من جديد، أي أن الثورة لم تحقق أهدافها، بل أنها أوجدت استبداداً أكبر من الاستبداد السابق، وهي استنتاجات يطرحها محللون ومثقفون كثر في مصر.

قد تكون المقارنة بين سوريا ومصر في هذه اللحظة غير واردة، خاصة في نظر من يرى أن الأهمية الآن يجب أن تعطى لإسقاط النظام، وليس للمخاوف من الإسلاميين، أو من مشروعهم السياسي، بحيث لا تدخل قوى المعارضة في تناقض سابق لأوانه، يدفعها للتقاعس عن التناقض الرئيس، وهو إسقاط النظام.

قد يكون من المفيد إذن إعادة النظر في شعار "الشعب يريد إسقاط النظام"، وتحريره من الزنزانة الضيقة للشعار، أي حيز إسقاط من يحكم، وتوسيع فضاء الدلالة ليشمل القضايا الرئيسية الموجبة لإسقاط النظام، بحيث يكون هناك أفق للمشروع الوطني يتخطى مسألة إسقاط النظام، وإلا فإن الحالة السورية لن تكون بأفضل حالاً من الحالة المصرية، أي وقوع البلد في حالة من الاستقطاب السياسي بين مشروع الإسلام السياسي الذي يعرف نفسه بالدلالة الدينية وبين المشروع الوطني الذي يعرف نفسه بدلالة المواطنة.

مخاوف الكثير من السوريين من مشروع الإسلام السياسي له ما يبرره في أكثر من سياق منذ بدء الاحتجاجات في آذار من العام الماضي وحتى اليوم، ويمكن ذكر بعض تلك السياقات حتى لا يبقى الكلام مرسلاً من دون معنى، ومن تلك السياقات أن الإخوان المسلمين دفعوا خلال الثورة إلى تشكيل منظومة ولاء لهم في المجتمع، أو بين تشكيلات الجيش الحر، وهي منظومة قامت على عاملين رئيسيين، الأول منهما يتمثل بتوصيف التناقض مع النظام، أي وصف النظام بالكافر، وهو ما يعني بداهة أن قوى الثورة هي بالضرورة القوى المؤمنة، أو المتدينة، باختصار القوى الإسلامية، وهو ما من شأنه أن ينزع صفة الثورية عن الكثير من القوى المعارضة الأخرى، وحشد المجتمع على أساس طائفي، وهو أمر لا يتم الحديث عنه في الإعلام بشكل مباشر، وإنما يتم تطبيقه فعلياً على الأرض، ولم يعد خافياً على أحد أن القوى الإسلامية المحسوبة على الثورة قد بدأت تحفز المجتمع على ممارسات حياتية مشتقة من رؤية دينية محضة، وغير مدقق فيها.

العامل الثاني الذي أسهم في تشكيل منظومة الولاء كان المال السياسي الذي لعب دوره في استقطاب الكثير من السوريين، خاصة وأن النظام قد مارس أبشع أشكال التنكيل بحق الناس، وأصبح الكثيرين منهم تحت ضغط العوز، وهو ما استفاد منه الإسلام السياسي بما يملك من قدرات على تأمين الكثير من تلك الاحتياجات.

نحن اليوم كسوريين أمام جملة تناقضات، ومنها

مخاوف الكثير من السوريين من مشروع الإسلام السياسي له ما يبرره

أن مفهوم إسقاط النظام الذي يجب أن يكون بداية لتحقيق أهداف الثورة، أي إيجاد مناخ سياسي واجتماعي حر، والانتقال إلى بلد عصري ومتقدم قادر على الأخذ بأسباب التقدم، وتحقيق المواطنة لجميع أبنائه، هذا المفهوم راح يستثمر من قبل البعض لتوليد مشاريع تتناقض مع أهداف الثورة، بحيث سيطرت في المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام القوى الإسلامية، وتراجعت المفاهيم المدنية للمجتمع، وتقوم تلك القوى بإعادة تعريف المنظومة الاجتماعية بدلالة دينية.

الخشية اليوم لدى الكثير من الفئات التي لا تجد نفسها في سياق الإسلام السياسي من انقلاب الثورة على نفسها، بحيث يتم تهميشها لاحقاً، أو الضغط عليها، أو تعميم أنماط سلوك لا تتناسب مع التنوع السوري، وهي خشية في مكانها في الكثير من الحالات، حيث راحت بعض القوى تكفر مفهوم الدولة المدنية الديمقراطية، وتعتبره مؤامرة غربية، ومتناقضاً مع الإسلام، ومشروع الخلافة الإسلامية، وهو ما يؤكده أحد الفيديوهات التي تمّ بثها على اليوتيوب، حيث تعلن إحدى الكتائب بأنها ستستمر بنضالها حتى "إسقاط النظام، ومشروع الدولة المدنية الديمقراطية الكافرة"، أي

هل ستتمسك القوى المدنية بموقعها في الخارطة السياسية والاجتماعية السورية؟

أنها تضع النظام والدولة المدنية الديمقراطية في سلة واحدة.

من الواضح تماماً بأن سوريا ستمضي باتجاه سيناريوهات فيها الكثير من الأزمات، وأن مسألة رحيل بشار الأسد هي مجرد تفصيل في الخارطة الكبيرة للصراع، وبرحيله لن تكون الثورة قد حققت سوى جزءاً بسيطاً من أهدافها، أي رحيل رمز النظام، لكن الأهداف الكبرى للثورة المتمثلة بإسقاط النظام بما يمثله من قيم ستبقى معلقة إلى أجل غير مسمى.

الكثير من الأسئلة تبرز في هذا السياق، ومنها: هل ستتمسك القوى المدنية بموقعها في الخارطة السياسية والاجتماعية السورية؟ هل ستصاب هذه القوى بالإحباط؟ وهل ستفكر هذه بإعادة إنتاج نفسها من أجل بناء التوازن في سوريا المستقبل؟.

لقد ثار السوريون على نظام شمولي، يحكمه الحزب الواحد، والرجل الواحد، والرأي الواحد، وحلموا بسوريا التعددية، حيث للمواطن الحق في الاختلاف مع الآخر من دون أن يحاكم على رأيه، أو على طريقة حياته، أو على طريقة لباسه، وأن يكون له حياة أفضل تعليمياً وصحياً، وأن يتمكن من العيش في بلده بكرامة من دون أن يضطر للهجرة، لكن هناك اليوم من يريد أن يعيد الممارسات ذاتها إلى الواقع السوري، ولكن تحت يافطة جديدة، فهل ينجح، وتخفق سوريا مرة أخرى؟.

اللاجئ إذ يأوي لاجئاً

مخيم اليرموك حكاية أخوّة ودم وموت وحياة تحت القصف

غازي دحمان

كان السوريون، وعلى مدار عقود خلت، يعتقدون أن لمخيم اليرموك، وكل المخيمات الفلسطينية، وظيفة واحدة تتمثل في كونه وعاءً لاحتواء بؤس اللاجئين الفلسطينيين، وتدبر شظف عيشهم إلى أن يقرر الله أمراً كان مفعولاً، إضافة طبعاً إلى تخريج المقاتلين والثوار الحالمين والساعين إلى وطن اسمه فلسطين يقبع خلف الجولان السوري!. بالطبع لم يمنع هذا الأمر سوريين، كثراً، من الانخراط مع نظرائهم الفلسطينيين في مجالات شتى، بدءاً من الإلتحاق بصفوف المقاومة إلى التشارك في مجالات العمل، وصولاً إلى بناء علاقات قربى ومصاهرة بين الكثير من العائلات، وخاصة تلك التي تتساكن في المخيمات، كحال مخيم اليرموك، أو تتجاور في الإقامة، مثل حال مخيمات درعا وحمص وحماة وحلب واللاذقية. غير أن ذلك لم يغير من حقيقة فهم طبيعة دور ووظيفة المخيم بالنسبة للغالبية العظمى من السوريين، وبخاصة ذوي الأصول الريفية الذين لم تسنح لهم الظروف التعرف على الفلسطينيين، على الرغم من إقامة جزء كبير منهم في مناطق مجاورة لمخيم اليرموك، مثل التضامن ودف الشوك والقدم والحجر الأسود، وحتى بعض أبناء الأحياء الدمشقية الأكثر التصاقاً بالمخيم، مثل الميدان والقاعة والشاغور والمجتهد، ناهيك عن المناطق الأبعد قليلاً، مثل داريا وكفرسوسة، رغم أن منطقة المزة المجاورة لهما تقطنها عائلات فلسطينية كثيرة. اليوم، وبفعل الثورة السورية، والدور الإنساني الرائع الذي قام به فلسطينيو المخيمات، والفلسطينيون عموماً، والذي يفوق طاقاتهم وظروفهم، تغيرت تلك الصور النمطية التي سادت في الوسط السوري عن المخيم ودوره، كما ان العلاقة بين طرفي المكان تتحرك باتجاه فضاءات أكثر إيجابية وتفهماً واحتراماً، وخاصة إذا ما عرفنا أن مخيم اليرموك يضم لوحده نحو ثلث لاجئي الداخل السوري، أي نصف مليون لاجئ سوري من أصل مليون ونصف مهجر في داخل سوريا، بحسب تقديرات الأمم المتحدة، كما أنه يضم أكثر من ثلاثة أرباع لاجئي دمشق، وجزء كبير من مهجري حمص ودرعا وحماة وإدلب. كيف يستطيع لاجئ إيواء لاجئين آخرين؟، تلك المعادلة المعقدة التي استطاع مخيم اليرموك أن يجترح لها حلولاً خلاقة، حيث إستطاع المخيم إيواء كل تلك الأعداد الهائلة بدفء وحميمية وبجهود ذاتية، فاقت حتى التصورات ، من خلال تكفل أبناء المخيم تكاليف الإقامة والإطعام والحماية لأعداد تعجز حتى منظمات دولية عن تكفلهم، كما أن دولاً مجاورة اشتكت أمرها إلى المجتمع الدولي، رغم أن عدد لاجئي دول الجوار لا يساوي عدد لاجئي المخيم الفلسطيني. وفي التفاصيل ثمة مشاهد كثيرة معبرة ووجدانية لوقفة المخيم الذي هبّ لنجدة جاره التضامن، الذي يأوي نحو مئتي ألف سوري من أرياف إدلب وحمص ودرعا ودير الزور، ساعة تعرضه لهجوم غادر من قبل قوات الأسد، وهو أمر أزعم أن الدول المعادية تأنف عن فعله، ما أدى إلى خروج عشرات الآلاف من أبناء هذا الحي دفعة واحدة باتجاه المخيم، حيث تطوع مئات الشباب الفلسطيني في مساعدة الهاربين من تحت وابل القصف والقنص، وتهدئة روعهم، ونقلهم إلى المنازل التي غصت بهم، ومن ثم فتح المدارس والمساجد والملاجئ، وإسعاف مئات المصابين والجرحى. هي لحظات صعبة ولكنها خالدة في الآن نفسه، انفتح الرحم السوري على وجع نزف خلاله عشرات ألوف الملهوفين، ليقابله الرحم الفلسطيني بأجود ماعند البشر من قيم الغوث والإخوة والوفاء، لحظات سيكتشف فيها السوري فلسطينيته العزيزة، وسيكتشف فيها الفلسطيني سوريته العتيدة. طوال فترة الثورة السورية ظلت الفصائل الفلسطينية تطالب أنصارها بالحياد، وهي سياسة رسمتها منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية لنفسها تجاه كل ثورات الربيع العربي، وذلك احتراماً للشؤون الداخلية للدول العربية، ومحاولة منها للحفاظ على سلامة الفلسطينيين في هذه الدول، غير أن قلوب الشباب الفلسطيني كانت مع الشعب السوري وتتحرق لمساعدته، وقد وجد في عمليات الغوث والمساعدة ضالته التي كان يبحث عنها، والتي تقع بين رغبة مرجعياته السياسية بعدم التورط في الأحداث العربية وشوقه لمساعدة من يعتبرهم جزءا من أهله. شكراً مخيم اليرموك، كان السوريون يظنون أنك ملجأ لإخوانهم الفلسطينيين، فإذا بك تلجئهم، وكان الاعتقاد السائد بأن من يسكنك لايملك غير الوجع والأنين على انكساره العتيد، فاكتشفه من خلالك طوداً لم يكسره الزمن، وعذراً فالسوريون كانوا يعرفون أن النساء الفلسطينيات ينذرن ما في بطونهن لفلسطين ضد إجرام الصهاينة، لكن تبين أن «الصهاينة» موجودون في أمكنة أخرى غير فلسطين.

أكتب هذه المادة وأنا أودع مخيم اليرموك (مؤقتاً) ، تحت وابل من قصف مدافع النظام وطائراته، وعلى وعد العودة قريباً بعد أن تتحرر دمشق وسورية بكاملها.

كان منظر خروج الناس من المخيم قاسياً فوق العادة، وللقارئ أن يتصور كيف يمكن لأكثر من مليون من البشر وهم يحتضنون صغارهم ويخرجون تحت حمم قذائف النظام.

شكراً مخيم اليرموك، ووداعاً إلى حين، لكننا تعلمنا وعرفنا أين تقع الطريق إلى فلسطين. عرفنا أن الجرح والعدو واحد، وإن بلكنة مختلفة، وكذا طريقنا للحرية واحد، ولقد قالها ثوار الشعبين(واحد واحد واحد سوري وفلسطيني واحد).

٢٠ مليـــــون صـــــوفي

حسين جمو

الأزمة الإنسانية – الغذائية أساساً– التي تتفشى في سوريا، لا يصح أن نطلق عليها بأنها "مجاعة"، رغم أن هذا الوصف قد تمّ استخدامه على سبيل المجاز في العديد من التقارير، لأن ما يحصل هو جوع مرتبط بفقدان المواد الغذائية، وليست مجاعة متعلقة بنضوب الطبيعة عن الإنتاج، لكن ما لفت نظري خلال متابعة القصص والروايات التي وردت لـ"البديل" عن كيفية مجاراة الناس للجوع في حلب ومناطق أخرى هو أنه للمرة الأولى يدرك السوريون ماذا يعني قولنا أن الشيء الفلاني من الضروريات، وذاك يدخل في خانة الكماليات.

وعلى سبيل المثال، انتهى شيء اسمه "ماركة" من حياة السوريين، لم يعد أحد يعير اهتماماً ما إذا كانت الأناقة والفخامة تعني ملابس من محلات "فرزتشي" أو "بوما"، وتخلت العائلات التي كانت تعرف بأنها ميسورة الحال عن استخدام «الشوكة والسكين»، وبات الحصول على وجبة البرغل أقصى ما يتمنونه. هذه الظواهر ليس من إيجابيات الجوع بالتأكيد، أو مدخلاً للقول إن هناك جوانب إيجابية في الأزمة، إطلاقاً، لكن هناك دروس سنعود إليها لاحقاً لمعرفة المدى الذي تغيّر فيه الناس، وكذلك المفاهيم الاجتماعية المتعلقة بالتراتبية الاقتصادية بشكل أساسي، فهناك تداخل بين الطبقة الوسطى والطبقة الفقيرة، بل أصبحا شيئاً واحداً، يأكلان من الصحن ذاته، فيما تمكنت قلة ثرية من النجاة عبر السفر إلى الخارج مع نقل مصالحهم معهم أيضاً، كما حدث بالنسبة لكثير من تجار حلب الذين فتحوا مصانع لهم في مصر.

من الدروس المستفادة أننا عدنا إلى الوعي بتصنيف الضروري والكمالي، والواقع أن هناك مفاجآت تباغت رصدنا لحياة الناس، وللمرة الأولى أدرك

فعلاً أن الطاولة الخشبية في المنزل لا قيمة لها، وهي من الكماليات، لذلك تحولت هذه الطاولات التي حرص كثيرون على اقتناء المزخرف والفاخر منها إلى حطب، تمّ استخدامه لإشعال النار فقط.. باتت هذه هي الوظيفة الأساسية للطاولة التي أعاد السوريون توظيفها من شيء كمالي (مخصص للطعام) إلى ضروري (يعين على التدفئة).

إن أسلوب الحياة التي يتبعها السوريون هذه الأيام للنجاة من الشتاء القارس هو حياة القديسين والأولياء وكبار شيوخ الطرق الصوفية. كنا نقرأ في التاريخ أن مولانا جلال الدين الرومي كانت تكفيه بضعة حبات تمر في اليوم، وكذلك حالة الزهد التي عاشها القديس سمعان العمودي، ثم نضع علامات التعجب. في سوريا اليوم نحو ٢٠ مليوناً يعيشون حياة صوفية قسرية، لكن لا بد أن الكثيرين سيدركون بعد اليوم أن الكماليات لا تستحق العناء. ما أجمل حياة الكفاف والتصوف عندما يكون البذخ متاحاً ونختار تهميشه.

مازن درويش ينال من سجنه جائزة مراسلون بلا حدود

منحت منظمة «مراسلون بلا حدود» جائزتها السنوية لعام ٢٠١٢ «حرية الصحافة» للصحافي السوري المعتقل داخل السجون السورية مازن درويش، تكريماً لدوره ولعمله الصحافي الدؤوب للدفاع عن حرية التعبير في سوريا. وتسلمت الجائزة الصحافية الفرنسية آن صوفي شيفر التي رافقت مازن درويش أثناء تواجدها لتغطية الأحداث في سوريا.

ومازن درويش، البالغ من العمر ٣٨ عاماً أسس "المركز السوري للإعلام وحرية التعبير"، وعمل المركز على دعم حقوق الصحافيين و مؤازرتهم إلى أن تم اعتقاله ونشطاء آخرين من قبل السطات السورية. وكان المركز يوثق حالات اختفاء المدونين والصحافيين. كما كان المركز يدعو إلى بلورة قانون جديد للصحافة في البلاد. وحاول درويش تسجيل المركز لدى السلطات السورية كمنظمة غير حكومية، ولكنه لم يفلح في ذلك. و يوضح بهذا الصدد أن لدى السلطات السورية حساسية كبيرة إزاء نشاط المنظمات غير الحكومية، بل وعداء حيال المجتمع المدني ككل، وكأن الأمر "يتعلق بخطيئة كبيرة" على حد تعبيره.

ومنذ اندلاع الثورة ضد نظام الرئيس بشار الأسد الديكتاتوري في ربيع عام ٢٠١١، تحولت حياة الصحافيين والناشطين الحقوقيين إلى جحيم لا يطاق. وحسب بيانات "منظمة مراسلون بلا حدود" فقد لقي ما لا يقل عن ١٧ صحافيا مصرعهم في سوريا، كما يوجد رهن الاعتقال ٢١ صحافياً، من بينهم مازن درويش. وفي ١٦ شباط من العام الجاري اقتحمت قوات الأمن السورية مكتب "المركز السوري للإعلام وحرية التعبير" في دمشق، حيث اعتُقل مازن درويش بصحبة ناشطين آخرين. ولا توجد أية معلومات حول مكان اعتقاله. إلا أن منظمة "مراسلون بلا حدود" تملك، على ما يبدو، معلومات تفيد بتعرضه للتعذيب، وبتدهور وضعه الصحي.